



إن الحمد لله نحمه، ونستغفره، وننعوا بالله من شرور أنفسنا وسائط أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له..
أما بعد..

أيها الإخوة المؤمنون: يقول الله تبارك أسماؤه في محكم تنزيله: {لَن تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}، وقال - تعالى - : {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ}، وقال - تعالى - : {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}.

وهكذا أيها الأخوة، وهكذا أيها الأخ المؤمن، لا تكاد تتلو بضع آيات من كتاب الله إلا وتجد حضناً كبيراً، وتجد دعوة قوية تهيب بك أيها المؤمن أن تنفق في سبيل الله، تنفق لمن؟ إنك تنفق على أخي لك مثلك.
ما الغرض من ذلك؟ الغرض من ذلك أن يكون هناك تعاطف بين المسلمين، أن يكون هناك تراحم بين المسلمين، حتى يكونوا كجسد واحد إذا اشتكي منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد، كل عضو ندب نفسه لمعونة هذا العضو كي لا يكون في المسلمين شقي واحد ولا بائس واحد ولا محروم واحد.

أيها الأخ الكريم:

لا تتلو آية فيها دعوة إلى الصلاة إلا وتجد آية فيها دعوة إلى الزكاة، ولا تتلو آية فيها دعوة إلى الإيمان إلا وتجد آية تدعى فيها إلى الجهاد وأية ثالثة تدعى فيها إلى الإنفاق في سبيل الله.

قال - تعالى - : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَنْكَهُمُ الصَّابِرُونَ}، وقال - تعالى - : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} حافت من عظمة الله، من كبراء الله، من سطوة الله، من جبروت الله، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِمْ آيَاتُهُ زَادُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ *} *الذين يقيمون الصلاة وممما رزقناهم ينفقون}.

أيها الإخوة:

الأمة يجب أن تكون جسمًا واحدًا، المجتمع يجب أن يكون بناءً واحدًا. هنالك الضمان الاجتماعي، هنالك التكافل الاجتماعي، هنالك العدالة الاجتماعية، كل ذلك مبعثه من الإيمان، من الرحمة، من حب المؤمنين، ((لا يؤمن أحدكم حتى

يحب لأخيه ما يحب لنفسه)). ((والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن؛ من بات شبعان وجاره جائع)).

أيها الإخوة:

رضينا بالله ربنا، وبالإسلام دينا، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم -نبياً، وكفرنا بكل مبدأ يغایر الإسلام، كفرنا بكل نحلة تأتينا من ديار الأعداء، وتركنا وهجرنا كل مذهب يغایر مذهب الإسلام، إنما هو كفر وإيمان إنما هو ضلال وهدى، إنما نستمسك بدين محمد - صلى الله عليه وسلم - وندع كل شريعة باطلة.

أيها الإخوة:

لا نعرف ضماناً إلا ضمان الإسلام، ولا نعرف تكافلاً إلا تكافل الإسلام، ولا نعرف عدالة إلا عدالة الإسلام، أما ما وراء ذلك فالغافل كاذبة ودعوات زائفة واشتراكيات منحرفة ضالة؛ وذلك لأن الإسلام ينظر إليك على أنك إنسان على أن لك روحًا، على أن فيك معاني الإنسانية، تستطيع أن تعلو فوق الحيوانية، تستطيع أن تسمو فوق المادة، تستطيع أن تؤمن بالله وتهب نفسك لله وتعيش في سبيل الله وتنفق مالك لله، الإسلام -أيها الإخوة-. يربيك على أنك إنسان تؤمن بالله وتؤمن باليوم الآخر وترضى بما أمر الله، وتذر ما أمرك الله بتركه، كل ذلك سهل عليك فتنفق مالك كله إن اقتضى الأمر في سبيل الله؛ كما فعل أبو بكر -رضي الله عنه-. حين جاء بهمه كله فوضعه بين يدي الرسول -صلى الله عليه وسلم-. في غزوة تبوك، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((يا أبا بكر، ماذا تركت لنفسك وأهلك؟)) قال: "تركت لهم الله ورسوله". وجاء عمر -رضي الله عنه- بنصف ماله وجاء عثمان -رضي الله عنه- بشيء كثير جداً ووضعه بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((اللهم ارض عن عثمان فإني راض عنده)), قدم آلاف الدنانير ومئات الإبل وهكذا جهز جيش العسرا.

الانطلاق عندها من الإيمان، من مبادئنا أن يكون الإنسان إنساناً، أما الإنسان الذي لا يعرف إلا شهوته، لا يعرف إلا طعامه، لا يعرف إلا شرابه، لا يعرف إلا منافعه، إنسان مثل هذا يجب أن ينزع ماله وتوضع له القيود ويفعل بالأغلال، أما المؤمن فليس له ذلك. ترك الإسلام للمؤمن الحرية، ترك لطاقاته أن تندفع، ترك إمكاناته أن تتباهي وأن تقوم بمشروعات، إن إنساناً واحداً يستطيع أن يقوم أحياناً بما لا تستطيع أن تقوم به أمة. الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة، الأكثريّة على الغالب بسطاء وسطاء تجد بينهم نابغة واحداً، الإسلام لا يقول لهذا الواحد نكبة حريرتك، نمنعك من التصرف، نغل يديك، بل نقول له: انطلق بقوتك ولكن أنت وقوتك وإيمانك وطاقاتك لله وفي سبيل الله وللأمة، فإذا دق جرس الخطر تقدمت بنفسك وماك.. هذه تربية الإسلام، تربية الإسلام إطلاق للقوى، إطلاق للطاقات مع تربية القلب حتى يكون قلباً مؤمناً فإذا كان كذلك كان كل ما لديه له، كل سعيه كان في سبيل الله.

نظرة الإسلام أن نطلق القوى ونربى القلوب ونعتبر الإنسان بشرأ سوياً. نظرة أولئك ألا نعتبر الإنسان بشرأ سوياً بل نفعياً أنسانياً لا سبيل للرحمة إلى قلبه. لا تسمح له بالانطلاق، ينطلق في سبيل نفسه وكبت غيره. أنا لا أدرى هل أستطيع أن أفرق بين نظريتين؛ نظرة الأمل بك أنها إنسان، ونظرة سوء الظن بك أنها إنسان، نظرة على أنك تؤمن بالله واليوم الآخر، ونظرة على أنك قطعة من الكون أقيمت وستنتهي، هذه الحياة تكون منطلقاً لك ومسرعاً للذاتك أنت، أما نظرة الإسلام فإنه أطلق وربى من الداخل، أما نظرة أولئك فاعتبروا الإنسان حيواناً وبهيمة.

أيها الإخوة:

أما الذنب فهو ذنبنا، ذنبنا نحن المسلمين، هل يصح أن يقال إن مجتمعنا مجتمع إسلامي؟ لا. هل نمثل الإسلام تمثيلاً صحيحاً؟ هل هذا المجتمع هو الذي وصفه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تواههم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؟ لا بكل أسف، لا ليس الأمر كذلك إننا لا نمثل الإسلام، نحن الآن أنانيات ممحضة، قلوب بعيدة متنافرة يصدق علينا ما يقول أولئك بأننا والله لا نؤمن بالله ولا نؤمن باليوم الآخر، نحن لا نمثل الإسلام ولا نستطيع أن ندافع عن الإسلام ولا

نستطيع أن نذيع للملأ أن كلمة الله هي العليا، لأن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال هذه النفوس الواهية المتواكلة الضعيفة المستخذية فلا نستطيع أن نقول هذا هو الإسلام، فانظروا نحن قد جنينا إثمين: أولاً: جنينا على أنفسنا وسنلاقي جزاء عملنا. ثانياً: جنينا على سمعة الإسلام.

إن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال أعمالنا ومن خلال مجتمعنا، هذا هو المجتمع الإسلامي فانظروا إلى الإسلام، الذنب ذنبنا، الإثم إثمنا، الجريمة جريمتنا. لو كان هناك مجتمع واحد إسلامي في العالم كله لكان حجة على النظريات وحجة على المذاهب، ولتبين للناس جميعاً أن الإسلام هو الكمال وأن ما تتباطرون به من نظريات ومذاهب هو الضلال والبطلان، ولكن هؤلاء يتخطبون ويتنقلون بين المذاهب ولا يظلون أن الإسلام لديه الحل إلا انفر يسير منهم ولكنهم قلة، نفذت أبصارهم إلى ما وراء المجتمع الإسلامي وإلى الإسلام وحقيقة واستطاعوا أن يعرفوا الإسلام. لو كان هناك مجتمع إسلامي واحد لكان حجة على الشرق وحجة على الغرب، ولكن مجتمعاً مثالياً.

أيها الإخوة:

لم يكن كذلك أسلافنا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحن - أيها الإخوة - أصيـنا بضعف، وهذا الضعف الذي أصيـنا به رضينا به وسوغنا لأنفسنا ما نحن فيه وقلنا هذا هو الإسلام، المؤمن لا يبالي بما في المجتمع، المؤمن لا يهتم بشئون الأمة، المؤمن لا يندفع إلى الخير، المؤمن لا يجاهد في سبيل الله وفي سبيل إيقاف الشر عند حده، كل واحد منا شأنه كذلك وهو يرى أنه مؤمن وهو يرى ألا طاقة له، وهو يرى أن هذا قضاء الله، وكل ذلك حيل ركبها الشيطان، وسولتها النفوس، وليس الواقع كذلك حينما نسمع آيات الله تجاهنا وتصدع وجوهنا تلتفت إلى حيلة أخرى، نقول: لا! ذلك لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما نحن المساكين أين نحن من أولئك، الآيات تدعونا إلى الجهاد، ونحن همتنا أدنى، رضينا بالأدنى. رضينا بالمرتبة الدنيا وانتهـي ذلك إلى أن مجتمعنا لا يمثل مجتمعاً إسلامياً صحيحاً.

حين نزل قوله - تعالى - : {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، لن تـالوا درجة البر، مرتبة البر، أن يقال إنك من أهل البر، من الأبرار عند الله، لن تـالوا هذه الدرجة حتى تـنفق من كرائم أموالك وتـنفق من طيبات ما كسبت، تـنفق ونفسك طيبة راضية بما تـنفق، درجة عالية لا تـصل إليها بكل أسف. حين نزلت هذه الآية تـباري أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليها، يقول أحدهم: "يا رسول الله، إن أحب مالي كذا وكذا أضعـه صدقة". وجاء أبو طلحة - كما يروي الشیخان البخاري ومسلم - جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "يا رسول الله سمعت قول الله - تعالى - : {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وإن أحب مالي إلى بستان. اسمـه بستان بيرحاء" .. بستان من أطيب البساتين مقابل مسجد الرسول فيه عين ماء عنـه يدخل الرسول - صلى الله عليه وسلم - يـشرب من تلك العين يقول أبو طلحة: "إن أحب مالي إلى بستان اسمـه بستان بيرحاء، وإنـي أجعلـه صدقة أرجـو بـرها وـنـخـرـها يومـ الـقيـامـةـ" ، يقولـ رسولـ اللهـ - صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : ((بحـ بـعـ، قدـ سـمـعـتـ ماـ تـقـولـ اـجـعـلـهـ فـيـ الأـقـرـبـينـ))، أوـ كـمـاـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ - صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - . سـمـعـ أبوـ طـلـحـةـ قولـ اللهـ - تعالىـ - : {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} فـبـادـرـ وـنـفـذـ، لمـ ذـلـكـ أـيـهـاـ الإـخـوـةـ؛ لأنـ الإـيمـانـ خـالـطـ بـشـاشـتـهـ قـلـبـهـ وـخـالـطـ حـلـوـتـهـ قـلـبـهـ. تـرـبـيـةـ أـولـئـكـ خـيـرـ مـنـ تـرـبـيـتـنـاـ).

إن مجتمعنا لا يمثل المجتمع الإسلامي الصحيح، إن تـربـيـتـنـاـ التيـ نـشـأـناـ عـلـيـهـ لـيـسـتـ تـرـبـيـةـ إـسـلـامـيـةـ صـحـيـحةـ، الأمرـ الأـسـاسـيـ التـرـبـيـةـ، الأمرـ الأـسـاسـيـ المـدـرـسـةـ، وإنـ مـسـلـمـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ لاـ يـنـفـقـونـ عـلـىـ الـمـدـارـسـ وإنـ هـذـاـ ضـعـفـ كـبـيرـ جـداـ. أـنـفـقـواـ عـلـىـ الـمـدـارـسـ إـسـلـامـيـةـ، فـكـرـوـاـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ. هـذـاـ خـيـرـ مـاـ يـجـبـ الـاجـتـمـاعـ عـلـيـهـ وـخـيـرـ مـاـ يـجـبـ التـقـيـدـ بـهـ. نـسـأـ اللهـ - تعالىـ - أـنـ يـلـهـمـنـاـ رـشـدـنـاـ، وـيـعـيـذـنـاـ مـنـ شـرـورـ أـنـفـسـنـاـ، وـمـنـ سـيـئـاتـ أـعـمـالـنـاـ، وـيـلـهـمـنـاـ الـإـسـتـمـسـاـكـ بـكـتـابـهـ وـسـيـرـةـ

نبـيـهـ...

(*) هذه الخطبة ألقياها الدكتور الشيخ محمد أمين المصري - رحمه الله - في دمشق بتاريخ 30/2/1384هـ، الموافق 15/7/1964م، وموضوع الخطبة لا يزال حياً وبحاجة للتأكيد وكثيراً ما سمعناه يؤكده ويكرر على هذا الموضوع، وينتقد ما عليه المسلمين من الأنانية.

المصدر: ملتقى أهل الحديث

المصادر: